الرد على طعن الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي في حجية القرآن الكريم في إثبات الواقعة التاريخية (دراسة نقدية)

Ahmed Abd Al-Mo'ty Hegazi's view concerning the authenticity of the Holy Qura'n; a critical study

محمد جبر السيد عبد الله جميل[1]

[1]قسم الفقه وأصوله، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، (ماليزيا). *muhammad.gabr@mediu.my*

تاريخ الإستقبال: 2018.12.21 **تاريخ القبول**: 2019.05.01 **تاريخ النشر**: 2019.07.21

ملخص

استهدفت الدراسة بيان مدى صحة الدعوى التي ذهب إليها الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بشأن مدى حجية نصوص القرآن الكريم في إثبات الواقعة التاريخية. واستندت الدراسة إلى المنهج النقدي لتقييم صحة هذه الدعوى، ومدى دلالة الأدلة التي استندت إليها. وتمثلت أداة الدراسة في مسح الأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة. وتوصلت الدراسة للعديد من النتائج أهمها: أنه لا يشك عاقل منصف بأَنَّ القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الصحيح الثابت لقصة نبينا موسى - عليه السلام- وفرعون – عليه لعنة الله- أَنَّ المعرفة التاريخية المستقاة من المصادر المباشرة تتطابق مع ما قصه القرآن الكريم من وقائع دارت بين نبينا موسى – عليه السلام – وفرعون عليه لعنة الله- أَنَّ المعرفة التاريخية المستقاة من المصادر المباشرة لا ترقى إلى اليقين إلا في حالات نادرة مقارنة بنصوص القرآن الكريم التي تمثل اليقين المطلق- أَنَّ الفصل بين الدين والعلم والدين والسياسة لا يجوز شرعا. وأوصت الدراسة بضرورة تحذير الأفراد من مغبة الانخداع بهذه الدعوات المشبوهة – التي تطفو بين الحين والآخر – للطعن في حجية القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: *حجية القرآن الكريم، دعوى الكاتب أحمد عبد المعطي حجازي.*

Abstract

The study aimed at evaluating the viewpoint and evidence the Egyptian writer Ahmed Abd Al-Mo'ty Hegazi that raise question about the of the authenticity of the Holy Qura'n. The study used the critical-analysis methodology to investigate the targets in question. To gather the required data, a review of literature was administered. The study came to the conclusion that Hegazi's view proves to be false because the authenticity of the Holy Qura'n is beyond doubt. Furthermore, The historical version of the story of Moses and the Pharaoh of Egypt goes line in line with the version of the Holy Qura'n. Moreover, the Holy Qura'n's version of the past events is far more authentic than that of the historical one. In addition the separation of religion from science and politics is not permissible., . The study recommended that individual Muslims should be immunised against the false beliefs that raise question about the of the authenticity of the Holy Qura'n.

Keywords: The Authenticity of the Holy Qura'n, Hegazi's View.

[1] **المؤلف المرسل**: محمد جبر السيد عبد الله جميل، **الإيميل**: *muhammad.gabr@mediu.my*

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده، ورسوله.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[1].

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إنَّ الله كان عليكم رقيبا)[2].

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالَكم ويغفر لكم ذنوبَكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)[3].

أما بعد[4]:

فقد طالعتنا جريدة الأهرام المصرية بمقال للكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بعنوان: " ريمة، وعاداتها القديمة " [5] يصرح فيه بأنَّ الدين لم يعد المصدر الوحيد لمعرفة التاريخ، وأن ورود أخبار السابقين في القرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودها التاريخي، وأنه ينبغي أن نميز بين الدين والعلم [6]. وقد ثار التساؤل بشأن مدى صحة ما زعمه الكاتب، وهذا ما تحاول أن تتصدى له الدراسة الحالية.

مشكلة الدراسة

تتلخص مشكلة الدراسة الحالية في التساؤل الآتي:

ما مدى صحة دعوى الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بأنَّ ورود أخبار السابقين في القرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودها التاريخي؟

أهداف الدراسة

بناءا علي التساؤل السابق، يتحدد هدف الدراسة في بيان مدى صحة الدعوى التي ذهب إليها الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بأنَّ ورود أخبار السابقين في القرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودها التاريخي.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة في جانبين هما:

الجانب الأول: الأهمية النظرية: تتجلي الأهمية النظرية في الدراسة في أنها تحاول استكمال الجهود العلمية التى انصبت على تفنيد الدعاوى المتعلقة بإثارة الشبهات إزاء حجية القرآن الكريم في إثبات الواقعة التاريخية في محاولة لإثراء ما كتب في هذا الخصوص.

الجانب الثاني: الأهمية التطبيقية: تتجلي الأهمية التطبيقية للدراسة في أنها تسهم في تحذير الأفراد بعدم الانخداع بالدعاوى التي تطفو بين الحين، والآخر للطعن في حجية القرآن الكريم في إثبات الوقائع التاريخية.

حدود الدراسة

تتمثل الحدود الموضوعية للدراسة الحالية في أنها تقتصر علي مسألة الدعوى التي ذهب إليها الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بأنَّ ورود أخبار السابقين في القرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودها التاريخي.

منهج الدراسة

تستند الدراسة إلي المنهج النقدي؛ حيث يجري تقييم مدي صحة الدعوى التي ذهب إليها الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بأنَّ ورود أخبار السابقين في القرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودها التاريخي.

إجراءات الدراسة

تتحدد إجراءات الدراسة في الآتي:

- جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة.
- عزو الآيات القرآنية
- تخريج الأحاديث النبوية و الآثار الواردة فى الدراسة.
- توثيق النقول من أقوال العلماء من مصادرها الأصلية وإلا فعزوها إلى المصادر الثانوية إن تعذر ذلك.
- توضيح الألفاظ المبهمة.
- إلحاق فهرس للمراجع.

خطة الدراسة

تتألف الدراسة من مقدمة، ومبحثان، وخاتمة، وفهرس، وملحق كالآتي:

المقدمة: تتناول مشكلة الدراسة، وأهداف الدراسة، وأهمية الدراسة، ومنهج الدراسة، وإجراءات الدراسة، وحدود الدراسة، وخطة الدراسة.

المبحث الأول: يتناول دعوى الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بأنَّ ورود أخبار السابقين في القرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودها التاريخي.

المبحث الثاني: يتناول مدى صحة دعوى الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بأنَّ ورود أخبار السابقين في القرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودها التاريخي.

الخاتمة: تتناول نتائج الدراسة، وتوصياتها.

الفهرس: يتضمن قائمة بالمراجع التي استندت إليها الدراسة.

الملحق: يتضمن صورة ضوئية من المقال الذي يتناول دعوى الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بأنَّ ورود أخبار السابقين في القرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودها التاريخي.

ويجري تفصيل ذلك علي النحو الآتي:

المبحث الأول

دعوى الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بأنَّ ورود أخبار السابقين في القرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودها التاريخي

يتعرض المبحث الحالي لبيان دعوى الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بأنَّ ورود أخبار السابقين في القرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودها التاريخي كالآتي:

ذهب الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي إلى أن القرآن الكريم ليس حجة في إثبات الواقعة التاريخية. وأخذ يمثل لذلك بقصة نبينا موسى عليه السلام وفرعون عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين. فذهب إلى أن مجرد ورود هذه القصة على النحو الذي وردت عليه لا يكفي لثبوتها تاريخيا، فأخذ يقول: " المشكلة المتمثلة في الموقف الذي تقفه النصوص الدينية من تاريخنا حين تختزله في قصة موسى وما كان بينه هو وبني إسرائيل وبين فرعون والمصريين من صراع عنيف انحازت فيه هذه النصوص لموسى ضدنا. ولأننا نحن المصريين نؤمن بهذه النصوص فنحن نجد أنفسنا في موقف لا نحسد عليه، لأننا بحكم انتمائنا الديني مطالبون بأن نكون مع موسى ومع بني إسرائيل، وبحكم انتمائنا الوطني مطالبون بأن نكون مع فرعون، ولأن عواطفنا الدينية قوية بالوراثة، ولأن الأمية منتشرة فينا، ولأن ثقافتنا التاريخية وثقافتنا الوطنية عامة ضعيفة متهافتة فنحن في هذا الصراع نقف ضد فرعون، أي ضد أنفسنا ونلتحق بالغزاة الذين تقاطروا على بلادنا ونزحوا خيراتها واستعبدونا باسم الدين من أول الفرس في القرن السادس قبل الميلاد

إلى الأتراك العثمانيين في هذا العصر الحديث "[7].

ويضيف قائلا: " ولقد يبدو للسذج أن الدين يستفيد من الانحياز للإسرائيلين والطعن في المصريين وتشويه تاريخهم، وهذا وهم لأن الدين لم يعد المصدر الوحيد لمعرفة تاريخ المصريين، وإنما أصبح تاريخنا وتاريخ الإسرائيليين معروفا يقرأه العالم ويتعلمه التلاميذ، ويأخذ المؤرخون والباحثون من مصادره المباشرة المتمثلة في هذه الآثار الباقية هنا وهناك فوق الأرض وتحتها؛ المعابد، والمقابر، والتماثيل، والصور، والألواح المكتوبة التي تكشف لنا عن الماضي "[8].

وذهب يستشهد بقول طه حسين – في هذا الخصوص – فذهب يقول: " يقول الأستاذ العميد [أي: طه حسين]: " للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي "[9].

ويعقب على ذلك بقوله: " هكذا علمنا الأستاذ العميد أن نميز بين الدين والعلم، كما علمنا غيره أن نميز بين السياسة والدين. لكن ريمة تنسى ما تتعلمه وترجع لعاداتها القديمة "[10].

المبحث الثاني

مدى صحة دعوى الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي بأنَ ورود أخبار السابقين في القرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودها التاريخي

سبقت الإشارة إلى أن الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي ذهب إلى عدم حجية القرآن الكريم في إثبات الواقعة التاريخية ومثَّل لذلك بقصة نبينا موسى عليه السلام وفرعون عليه لعنة الله. ويجري الرد على ما أثاره على النحو الآتي:

<u>أولا</u>: قوله: " المشكلة المتمثلة في الموقف الذي تقفه النصوص الدينية من تاريخنا حين تختزله في قصة موسى وما كان بينه هو وبني إسرائيل وبين فرعون والمصريين من صراع عنيف انحازت فيه هذه النصوص لموسى ضدنا ".

يجاب عن ذلك من وجوه ثلاثة كالآتي:

الوجه الأول: في الوقت الذي ذهب فيه يوقر أستاذه طه حسين بقوله: " الأستاذ العميد"، وما هو بأستاذ إلا للطاعنين في الإسلام وما هو بعميد إلا لأهل الأهواء من أمثاله، ومن هم على شاكلته، ذهب يذكر نبينا موسى – عليه السلام – مجردا من الصلاة عليه, وهذا ينم عن سوء أدب مع الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم. فمن كمال توقير الرسل والأنبياء – صلوات الله عليهم - الصلاة عليهم متى ذكرت أسماؤهم أسوة بالصلاة على خاتم المرسلين والنبيين سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم كما في قول الله تعالى: (إنَّ الله وملائكتَهُ يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسليما) [11]. ويدلل على ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – في بيان كيفية الصلاة عليه- حيث قال: (قولوا: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ،كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد) [12]. فالله تعالى صلى على محمد وآل محمد، وصلى على إبراهيم وآل إبراهيم، " ويدخل في آل إبراهيم خلائق لا يُحصَون من الأنبياء" [13]، فكان الأحرى بالمؤمنين الصلاة على الرسل والأنبياء جميعا أسوة بمحمد وآل محمد، وأسوة بإبراهيم وآل إبراهيم صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين. ويدلل على ذلك النووي – رحمه الله- في معرض شرحه لهذا الحديث: " احتج به [أي: هذا الحديث] من أجاز الصلاة على غير الأنبياء، وهذا مما اختلف العلماء فيه. فقال مالك والشافعي – رحمهما الله تعالى –: والأكثرون لا يُصلى على غير الأنبياء استقلالا ... واحتج الأكثرون بأنَّ هذا النوع مأخوذ من التوقيف، واستعمال السلف، ولم يُنقل استعمالُهم ذلك، بل خصُّوا به الأنبياء كما خصوا الله تعالى بالتقديس والتسبيح" [14].

<u>الوجه الثاني</u>: زعمه بأنَّ النصوص الدينية اختزلت تاريخ المصريين في قصة نبينا موسى - عليه السلام- وفرعون – عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين - زعم باطل لأن النصوص الدينية قد وصفت حقبة من الحقب التاريخية التي عايشها المصريون فحسب، ولم تعمم ما حدث بهذه الحقبة على غيرها من الحقب.

<u>الوجه الثالث</u>: زعمه بأن النصوص الدينية انحازت لنبينا موسى – عليه السلام – ضد المصريين زعم باطل لثلاثة أسباب هي:

السبب الأول: أنه نزَّل النصوص الدينية – من منزلتها الإلهية – إلى المنزلة البشرية التي تميل إلى فريق دون آخر وفقا للهوى والتشهي. وهذا لا يقول به مسلم، ولا يقول به عاقل منصف لأنه إن جاز ذلك في النصوص المحرَّفة كما هو الحال في نصوص التوراة والإنجيل، فلا يجوز ذلك في نصوص الكتاب والسنة. فنصوص الكتاب والسنة مُنزَّهة عن ذلك. يقول تعالى: (وما ينطقُ عن الهوى) [15]. وقال تعالى: (ولو اتبع الحقُ أهواءَهُم لفسدت السمواتُ والأرضُ ومن فيهن، بل أتيناهم بذِكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) [16]. وقد نهى القرآن عن استصدار الأحكام تبعا للهوى. يقول تعالى: (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفسَ عن الهوى* فإنَّ الجنةَ هي المأوى) [17]. كما ذم القرآن أهل الأهواء كما هو حال هذا الكاتب الصحفي الذي يطعن في نصوص الكتاب والسنة. يقول تعالى: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوةٌ فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) [18].

السبب الثاني: أن النصوص الدينية لا تنحاز إلا للحق دائما. يقول تعالى: (إنَّ الذين كفروا بالذكر لَمَّا جاءَهُم وإنه لكتابٌ عزيز* لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد) [19]. ويقول تعالى: (ولا نكلِّف نفسا إلا وُسعَها ولدينا كتابٌ ينطق بالحق وهم لا يُظلمون) [20]. ويقول تعالى: (ويستنبؤنك أحقٌ هوَ، قل إي وربي إنه لحقٌ وما أنتم بمعجزين) [21].

السبب الثالث: أنَّ النصوص الدينية في قصة نبينا موسى - عليه السلام- وفرعون – عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين - انحازت إلى الحق، والحق كان مع نبينا موسى - عليه السلام – ومن تبعه من قومه من بني إسرائيل ومن تبعه من المصريين. يقول تعالى: (طسم* تلك آياتُ الكتابِ المبين* نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعونَ بالحق لقومٍ يؤمنون* إنَّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلَها شيعا يستضعف طائفةً منهم يُذبِّحُ أبناءَهُم ويستحيي نساءَهُم إنه كان من المفسدين* ونريدُ أنْ نَمُنَّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلَهُم أئمةً ونجعلَهُم الوارثين) [22]. وقال تعالى: (إنَّ فرعونَ وهامانَ وجنودَهُما كانوا خاطئين) [23]. وقال تعالى: (فاستخف قومَهُ فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين) [24]. وقال تعالى: (فأخذناه وجنودَهُ فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) [25].

ثانيا: قوله:" ولأننا نحن المصريين نؤمن بهذه النصوص فنحن نجد أنفسنا في موقف لا نحسد عليه، لأننا بحكم انتمائنا الديني مطالبون بأن نكون مع موسى ومع بني إسرائيل، وبحكم انتمائنا الوطني مطالبون بأن نكون مع فرعون ".

يجاب عن ذلك من وجهين كالآتي:

الوجه الأول: قوله: " لأننا بحكم انتمائنا الديني مطالبون بأن نكون مع موسى ومع بني إسرائيل" قول ليس في محله لأننا بحكم تعاليم ديننا الحنيف مطالبون بأن نكون مع الحق وضد الباطل حيثما كان ومتى كان، والحق كان مع نبينا موسى – عليه السلام - ومن تبعه من قومه من بني إسرائيل ومن تبعه من المصريين، وفرعون ومن تبعه من قومه من المصريين ومن وافقهم من بني إسرائيل كانوا على الباطل. قال الله تعالى حاكيا عن مؤمن آل فرعون في

مناصحته لفرعون وملأه للرجوع عما هم عليه من باطل: (ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار* تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علمٌ وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار* لا جَرَمَ أنما تدعونني إليه ليس له دعوةٌ في الدنيا والآخرةِ وأنَّ مَردَّنا إلى الله وأنَّ المسرفين هم أصحابُ النار) [26].

<u>**الوجه الثاني:**</u> قوله: " وبحكم انتمائنا الوطني مطالبون بأن نكون مع فرعون" قول باطل لثلاثة أسباب هي:

<u>السبب الأول</u>: أنَّ انتماء المسلم وتحاكمه إنما يكون لدينه لا لوطنه ولا لعرقه، ولا للونه ولا غير ذلك من الانتماءات التي ما أنزل الله بها من سلطان. وقد ذم الشرع الحنيف هذه النعرات التي يتنادى ويتحاكم بها أهل الباطل كما في قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) [27]. قال ابن كثير-رحمه الله-: " هذا إنكارٌ من الله عز وجل على مَنْ يَدَّعي الإيمان بما أنزلَ اللهُ على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أنْ يتحاكم في فصلِ الخصومات إلى غيرِ كتابِ الله وسُنَّةِ رسوله ... والآية ذامَّةٌ لمن عَدَلَ عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا، ولهذا قال (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) إلى آخرها " [28]. ويقول ابن القيم – رحمه الله -: " أخبر سبحانه أنَّ مَن تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكَّم الطاغوتَ وتحاكم إليه، والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حدَّهُ من معبود أو متبوع أو مُطاعٍ، فطاغوتُ كلِّ قومٍ مَن يتحاكمون إليه غيرَ اللهِ ورسولِه ... وهؤلاء لم يسلكوا طريقَ الناجينَ الفائزين من هذه الأمة – وهم الصحابة ومَنْ تَبِعَهم – ولا قَصَدوا قَصْدَهُم، بل خالفوهم في الطريق والقَّصْدِ معا " [29].

<u>السبب الثاني</u>: لو سلمنا جدلا بصواب فكرة الانتماء للوطن، فأي انتماء للوطن هذا الذي يخالف الفِطَر السليمة والعقول القويمة ويحث أهله لأن ينتصروا لبشر ادعى الألوهية من دون الله ، وهو فرعون – عليه لعنة الله-، كما قال الله تعالى - حاكيا عنه-: (وقال فرعونُ يا أيها الملأُ ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري) [30]. وأي انتماء للوطن هذا الذي يخالف الفطر السليمة والعقول الرشيدة ويحث أهله لأن يناصروا الظلم والظالمين، وأنْ يآزروا الفساد والمفسدين؛ متمثلا في فرعون – عليه لعنة الله - كما قال الله تعالى - حاكيا عنه-: (إنَّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلَها شيعا يستضعف طائفةً منهم يُذبِّحُ أبناءَهُم ويستحيي نساءَهُم إنه كان من المفسدين) [31].

<u>السبب الثالث</u>: لو افترضنا جدلا صحة فكرة الانتماء للوطن، فلم يطالبنا هذا الكاتب- المنتسب للإسلام زيفا - بالانتماء إلى هذا القطاع من الوطن الذي استحب الكفر على الإيمان؛ أي: فرعون وأتباعه، ولا يطالبنا بالانتماء إلى ذلك القطاع من الوطن الذي آثر الإيمان؛ أي: مؤمن آل فرعون ومن آمن معه بموسى – عليه السلام - من المصريين. يقول الله تعالى حاكيا عن مؤمن آل فرعون: (وقال رجلٌ مؤمن من آل فرعونَ يكتمُ إيمانَهُ أتقتلون رجلا أنْ يقولَ ربِّيَ اللهُ وقد جاءكم بالبينات من ربكم، وإنْ يكُ كاذبا فعليه كَذِبُهُ وإنَ يكُ صادقا يُصِبْكُم بعضُ الذي يَعِدُكم إنَّ الله لا يهدي من هو مسرفٌ كذاب) [32]. فالفطر السليمة والعقول القويمة ستميل حتما إلى مال إليه مؤمن آل فرعون وذلك القطاع المؤمن من الوطن لأن فيه النجاة والفلاح في الدارين. على حين أنَّ مرضى القلوب الذين يرون الحق باطلا والباطل حقا سيستحبون الظلمات على النور.

ثالثا: قوله: " ولأن عواطفنا الدينية قوية بالوراثة، ولأن الأمية منتشرة فينا، ولأن ثقافتنا التاريخية وثقافتنا الوطنية عامة ضعيفة متهافتة فنحن في هذا الصراع نقف ضد فرعون، أي ضد أنفسنا ونلتحق بالغزاة الذين تقاطروا على بلادنا ونزحوا خيراتها واستعبدونا باسم الدين من أول الفرس في القرن السادس قبل الميلاد إلى الأتراك العثمانيين في هذا العصر الحديث ".

يجاب عن ذلك من وجهين كالآتي:

الوجه الأول: قوله: " لأن عواطفنا الدينية قوية بالوراثة، ولأن الأمية منتشرة فينا، ولأن ثقافتنا التاريخية وثقافتنا الوطنية عامة ضعيفة متهافتة فنحن في هذا الصراع نقف ضد فرعون، أي ضد أنفسنا" قول باطل لأننا لا نقف ضد فرعون – لا لانتشار الأمية فينا ولا لضعف ثقافتنا التاريخية كما يزعم – وإنما نقف ضده لأننا نمتثل لتعاليم ديننا الحنيف الذي يأمرنا بالتبرؤ من الكفر والكفرة. فالواجب على كل مسلم أن يتبرأ من الكفر وأهله في أي زمان وفي أي مكان كانوا لقول الله تعالى: (قد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم إنَّا بُرَآءُ منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاءُ أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده) [33]. قال القرطبي-رحمه الله-: " قوله تعالى: (قد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم)؛ لمَّا نَهى عز وجلَّ عن موالاة الكفار ذكر قصة إبراهيمَ عليه السلامُ، وأنَّ من سيرَتِهِ التبرؤَّ من الكفار، أي: فاقتدوا به، وأْتمُّوا ... والآيةُ نصٌّ في الأمرِ بالاقتداء بإبراهيمَ عليه السلامُ في فِعْلِهِ ... (كفرنا بكم)؛ أي: بما آمنتم به من الأوثان، وقيلَ: أيْ؛ بأفعالِكم وكَذَّبْنَاها وأنكرنا أنْ تكونوا على حقٍّ. (وبدا بيننا وبينكم البغضاء أبدا)؛ أيْ: هذا دَأبُنا معكم ما دُمتُم على كفركم (حتى تؤمنوا بالله وحده) فحينئذٍ تنقلب المعاداةُ موالاةً " [34].

الوجه الثاني: قوله: " ونلتحق بالغزاة الذين ... استعبدونا باسم الدين ... إلى الأتراك العثمانيين في هذا العصر الحديث " قول باطل لسببين:

السبب الأول: أن الغزاة الذين يقصدهم هذا المارق ليسوا بغزاة كما يزعم، وإنما هم المسلمون الذي فتحوا مصر وأخرجوها من ظلام الكفر إلى نور الإسلام في خلافة أمير المؤمنين الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص – رضي الله عنه – عام (21هـ) الموافق (642م) وتعاقبوا على حكمها - في ظل الإسلام - منذ عهد الخلافة الراشدة إلى العهدين الأموي والعباسي وانتهاءا بحكم الأتراك العثمانيين حتى سقوط دولتهم عام (1346هـ) الموافق (1924م). ولو لم يكن هذا الفتح والحكم الإسلامي المبارك لظلت مصر ترزح تحت نِير الكفر الذي ينادي ويعتز به هذا الكاتب الصحفي وأمثاله ممن ينتسبون إلى الإسلام زورا.

السبب الثاني: أنَّنا – أي المسلمين – لا نلتحق بإخواننا المسلمين - الذين يسميهم هذا المارق بالغزاة زورا وبهتانا – لانتشار الأمية فينا أو لضعف ثقافتنا الناريخية كما يزعم – وإنما لأننا نمتثل لتعاليم ديننا الحنيف الذي يأمرنا بموالاة المسلمين. فالمسلم مأمورٌ بالولاء لإخوانه المسلمين امتثالا لقوله تعالى: (المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) [35]. قال القرطبي-رحمه الله-: " قوله تعالى (بعضهم أولياء بعض)؛ أي: قلوبُهم متحدةٌ في التوَّادِ والتَّحَابِّ والتعاطف " [36]. وامتثالا لقوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) [37]. يقول القرطبي –رحمه الله-: " قوله تعالى: (إنما

المؤمنون إخوة)؛ أي: في الدين والحُرْمة لا في النَّسَب، ولهذا قيل: أُخُوَّةُ الدين أثبتُ من أخوة النسب، فإنَّ أخوةَ النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوةُ الدين لا تنقطع بمخالفة النسب " [38]. فإذا كانت أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، فإن أخوة الجنس والوطن تنقطع بمخالفة الدين من باب أولى. هذا بجانب أن التعبير بحرف (إنما) جاء ليفيد الحصر [39]؛ أي حصر الأخوة وقصرها على المؤمنين، ونفيها عن غيرهم؛ حتى لو كان يشتركون معهم في الجنس أو في الوطن.

<u>رابعا:</u> قوله: " ولقد يبدو للسذج أن الدين يستفيد من الانحياز للإسرائيلين والطعن في المصريين وتشويه تاريخهم، وهذا وهم لأن الدين لم يعد المصدر الوحيد لمعرفة تاريخ المصريين، وإنما أصبح تاريخنا وتاريخ الإسرائيليين معروفا يقرأه العالم ويتعلمه التلاميذ، ويأخذ المؤرخون والباحثون من مصادره المباشرة المتمثلة في هذه الآثار الباقية ..." [40].

يجاب عن ذلك من وجوه ثلاثة كالآتي:

<u>الوجه الأول:</u> قوله: " ولقد يبدو للسذج أن الدين يستفيد من الانحياز للإسرائيلين والطعن في المصريين وتشويه تاريخهم " قول مردود لثلاثة أسباب:

<u>السبب الأول:</u> لأن الدين لم ينحاز للإسرائيلين ولم يطعن في المصريين ولم يشوه تاريخهم كما يزعم هذا الذي ينتسب إلى الإسلام زورا، وإنما انحاز إلى الحق وأهله ضد الباطل وأهله. والحق كان مع نبينا موسى - عليه السلام – ومن تبعه من قومه من بني إسرائيل ومن تبعه من المصريين، وكان فرعون ومن تبعه من قومه من المصريين ومن وافقهم من بني إسرائيل على الباطل.

<u>السبب الثاني:</u> لو أن الدين قد انحاز لبني إسرائيل كما يزعم هذا المارق لجاملهم وغض الطرف عن مقابحهم ولسكت عما ارتكبوه من آثام في عهد نبينا موسى - عليه السلام-، وما تلاه من عهود. ولكن الدين لا يجامل أحدا على حساب أحد مهما كان انتماؤه الوطني أو العرقي أو غير ذلك من انتماءات. يقول تعالى حاكيا عن قارون وهو من بني إسرائيل - وفي عهد نبينا موسى عليه السلام-: (إنَّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) [41]. ويجمع الله تعالى بين قارون وفرعون وهامان بقوله: (وقارونَ وفرعونَ وهامانَ ولقد جاءَهُم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) [42]. ويقول تعالى حاكيا عن بني إسرائيل: (فبما نقْضِهِم ميثاقَهُم لعنَّاهم وجعلنا قلوبَهُم قاسيةً) [43]. وقال تعالى: (لُعنَ الذين كفروا من بني إسرائيلَ على لسان داودَ وعيسى ابنِ مريمَ ذلك بما عَصَوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يَتَنَاهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) [44].

<u>السبب الثالث:</u> لو أن الدين طعن في المصريين وشوه <u>تاريخهم</u> كما يزعم هذا الكاتب، لسكت عن هذه الصورة الناصعة والمشرقة التي مثلها مؤمن آل فرعون وهو يعترض سبيل فرعون، ويدعوا إلى سبيل الله تعالى. يقول الله تعالى حاكيا عنه: (وقال الذي آمن يا قومِ اتبعون أَهدِكُم سبيل الرشاد * يا قومِ إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإنَّ الآخرةَ هي دارُ القرار * مَن عَمِلَ سيئةً فلا يُجزى إلا مِثلَها ومَن عَمِلَ صالحا مِن ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنةَ يُرزَقون فيها بغير حساب) [45]. فالقرآن لا يحابي قوما على حساب قوم، ولا ينحاز لطائفة على

حساب طائفة، ولا يتحيز لوطن على حساب وطن. وإنما سبيله سبيل الحق واضحا ناصعا ومُنزها عن كل انحياز ومتجردا عن كل انتماء.

الوجه الثاني: قوله: " الدين لم يعد المصدر الوحيد لمعرفة تاريخ المصريين" قول مردود لسببين:

السبب الأول: لأنه يرمي إلى التشكيك في رواية القرآن الكريم لقصة نبينا موسى – عليه السلام – وفرعون عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين. ولا يشكك في كتاب الله تعالى إلا كافر جاهل بالقرآن، أو كافر جاحد للحق. فكتاب الله تعالى " لا شك فيه ولا ارتياب " [46]. قال تعالى: (الم * ذلك الكتابُ لا ريب فيه هدى للمتقين) [47]. ويقول تعالى: (الم * تنزيلُ الكتابِ لا ريبَ فيه من ربِّ العالمين) [48]. ويقول تعالى: (ولقد ضربنا في هذا القرآنِ من كلِ مثَلٍ لعلهم يتذكرون " قرآنا عربيا غير ذي عِوَجٍ لعلهم يتقون) [49]؛ أي: " لا شبهة في صحته" [50].

السبب الثاني: أنه لا يشك عاقل منصف – منزَّه عن الهوى- بأنَّ القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الصحيح الثابت لهذه القصة لأنه وحي منزل من عند الله تعالى بخلاف المعرفة البشرية – التاريخية وغير التاريخية - فيعتريها النقص، والخلل، والانسياق وراء الأهواء.

الوجه الثالث: قوله: "أصبح تاريخنا وتاريخ الإسرائيليين معروفا يقرأه العالم ويتعلمه التلاميذ، ويأخذ المؤرخون والباحثون من مصادره المباشرة المتمثلة في هذه الآثار الباقية " قول ليس في محله لثلاثة أسباب هي:.

السبب الأول: لأنه يريد بذلك التشكيك في رواية القرآن الكريم لأخبار السابقين، ولا يشكك في كتاب الله إلا من ليس له نصيب من الإيمان، ومن ليس له حظ من العقل والإنصاف. والله تعالى وصف هذا الصنف بقوله: (لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ، أولئك هم الغافلون) [51].

السبب الثاني: أنَّ المعرفة التاريخية المستقاة من المصادر المباشرة المتمثلة في الآثار الباقية – على حد قوله- تتطابق مع ما قصه القرآن الكريم من وقائع دارت بين نبينا موسى – عليه السلام – وفرعون عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين. ومثال ذلك ما قصه القرآن الكريم من أنَّ فرعون قد تعرض للغرق، ونجاه الله تعالى ببدنه ليكون لمن خلفه آية. قال تعالى: (فأراد أنْ يستفزَّهم من الأرض فأغرقناه ومن معَهُ جميعا) [52]. وقال تعالى: (فأخذناه وجنودَهُ فنبذناهم في اليمِّ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) [53]. وقال تعالى: (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفكَ آيةً وإنَّ كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) [54]. وما تم اكتشافه من آثار يتطابق مع هذه الحقيقة. من ذلك المومياء الفرعونية التي قام الجراح الفرنسي الشهير موريس بوكاي بتشريحها، والتي قيل بأنها لفرعون نبينا موسى – عليه السلام. وقد فوجئ بوجود انثناء بالذراع وكأن صاحبها كان يدفع عن نفسه تدافع الأمواج، كما فوجئ بوجود آثار للملح بها في كافة أنحاء الجسد، فاستدل على أنَّ صاحبها قد تعرض للغرق في المياه المالحة، واستدل على أنه الفرعون المذكور في الآية.

السبب الثالث: أنَّه مع أهمية المعرفة التاريخية المستقاة من المصادر المباشرة المتمثلة في الآثار الباقية إلا أنها لا ترق إلى اليقين إلا في حالات نادرة. فهي – في أغلبها - معرفة ظنية تحتمل الكذب. ويدلل على ذلك، أنه على الرغم

من الكم الهائل من الآثار الفرعونية المكتشفة، إلا أنه لم يتمكن علماء الآثار من الكشف عن السبب الحقيقي وراء بناء أهرامات الجيزة، ولا الكيفية التي تم بها بناؤها. وذلك مقارنة بنصوص القرآن الكريم التي تمثل اليقين المطلق.

خامسا: استشهاده بأستاذه طه حسين بقوله: " يقول الأستاذ العميد [أي: طه حسين]: " للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ".

يجاب عن ذلك من وجهين كالآتي:

الوجه الأول: أنَّ قول أستاذه العميد – طه حسين – أستاذ الضلال وعميد الضلالة-: " ولكن ورود هذين الاسمين [أي: اسما نبينا إبراهيم ونبينا إسماعيل عليهما السلام] في ... القرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي " قول يخرج صاحبه – ومن استشهد به - من الإسلام إلى الكفر لأنه طعن في القرآن، وكل من طعن في القرآن فهو كافر، وكل من قال بمثل قوله فهو كافر مثله.

الوجه الثاني: أنَّ قول أستاذه العميد – طه حسين – أستاذ الضلال وعميد الضلالة-: " ولكن ورود هذين الاسمين [أي: اسما نبينا إبراهيم ونبينا إسماعيل عليهما السلام] في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي " قول باطل لسببين:

السبب الأول: لأنه افتراءٌ على القرآن. فإن جاز ذلك على التوراة التي أصابتها يد التحريف، فلا يجوز هذا على القرآن الذي حفظه الله من كل تحريف. قال الله تعالى: (أنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون) [55].

السبب الثاني: أنَّ كل ما ورد في القرآن ثابت صحيح لا تشوبه أدنى شائبة. يقول الله تعالى: (إنَّ الذين كفروا بالذكر لَمَّا جاءَهُم وإنه لكتابٌ عزيز* لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد) [56]. قال القرطبي – رحمه الله-: " (وإنه لكتابٌ عزيز)؛ ... أي: أعزه الله فلا يتطرقُ إليه باطلٌ ... (لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه)؛ ... أي: لا يأتيه الباطل فيما أخبر عما مضى، ولا فيما أخبر عما يكون" [57].

سادسا: قوله: " هكذا علمنا الأستاذ العميد أن نميز بين الدين والعلم، كما علمنا غيره أن نميز بين السياسة والدين ".

يجاب عن ذلك من وجوه أربعة كالآتي:

الوجه الأول: أنَّ الفصل بين الدين والعلم لا يجوز شرعا لأن كل جانب من جوانب الحياة – بما فيها العلم - يجب أن ينضبط بضوابط الدين. يقول تعالى: (ونزّلنا عليك الكتابَ تبيانا لكل شيء) [58]. ويقول تعالى: (ثم جعلناك على شريعةٍ من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواءَ الذين لا يعلمون) [59]؛ " أي: على منهاج واضح من أمر الدين يَشْرَعُ بك إلى الحق " [60] فإلزمها، ولا تخالفها إلى غيرها. وفي ذلك دلالة على وجوب الالتزام بتعاليم الدين في كل ناحية من نواحي الحياة والعلم لا يخرج عن هذا العموم. فلو لم تنضبط مسيرة العلم بأحكام الشريعة السمحاء، لصار العلم أداة للهدم لا للبناء. ولا يخفى عن الأذهان كيف اسُتخدم العلم كسلاح للتدمير حينما أسقط الجيش الأميركي قنبلتين

ذريتين على مدينتي هيروشاما ونجازاكي باليابان عام 1945، وأدى ذلك إلى إزالة المدينتين من الوجود، وإبادة الآلاف من البشر، وتشريد الآلاف من الأسر، وما زالت اليابان تعاني من مخاطره إلى الآن.

الوجه الثاني: أنَّ الفصل بين الدين والسياسة لا يجوز شرعا. فكل من يفصل أو ينادي بفصل الدين عن السياسة، فهو آثم إثما لن يخرجه أيضا عن كونه فاسقا أو ظالما أو كافرا كفرا أكبر مخرجا من الملة. ويدلل على ذلك قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (61)، وقوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (62)، وقوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) (63). قال القرطبي-رحمه الله-: " قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، و(الظالمون)، و(الفاسقون)؛ أي: ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا للقرآن، وجَحْدًا لقول الرسول عليه الصلاةُ والسلامُ فهو كافر. قاله ابن عباس، ومجاهد ... فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكبُ مُحَرَّمٍ فهو من فُساق المسلمين " (64).

الوجه الثالث: أنَّ من شأن المؤمنين أن يستجيبوا لتعاليم الدين لا لتعاليم غيره المخالفة له. يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيِيكم) (65). ويقول تعالى: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) (66). قال القرطبي-رحمه الله-: " قوله تعالى: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله)؛ أي: إلى كتاب الله وحكم رسوله. (أن يقولوا سمعنا وأطعنا)؛ قال ابن عباس: أخبر بطاعة المهاجرينَ والأنصارِ، وإنْ كان ذلك فيما يكرهون، أي: هذا قولُهُم، وهؤلاء لو كانوا مؤمنين لكانوا يقولون سمعنا وأطعنا " (67).

الوجه الرابع: أنَّ من شأن المنافقين الإعراض عن تعاليم الدين. يقول تعالى: (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا، ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك، وما أولئك بالمؤمنين، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون) (68). قال ابن كثير-رحمه الله-: " يخبرُ تعالى عن صفات المنافقينَ الذين يظهرون خلافَ ما يبطنون، يقولون قولا بألسنتهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك أي: يخالفون أقوالَهُم بأعمالِهِم فيقولون ما لا يفعلون. ولهذا قال تعالى: وما أولئك بالمؤمنين. وقوله: وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم الآية؛ أي: إذا طُلِبوا إلى اتباع الهُدَى فيما أنزل اللهُ على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه " (69).

خاتمة

أولا: أنَّ النصوص الدينية في قصة نبينا موسى - عليه السلام- وفرعون – عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين - انحازت إلى الحق، وهي لا تنحاز إلا للحق دوما، والحق كان مع نبينا موسى - عليه السلام – ومن تبعه من قومه من بني إسرائيل ومن تبعه من المصريين.

ثانيا: أنَّ قوله بأنَّ انتماء المصريين لوطنهم يطالبهم بأن ينحازوا لفرعون قول باطل لأن انتماء المسلم وتحاكمه إنما يكون لدينه لا لوطنه ولا لعرقه، ولا للونه ولا غير ذلك من الانتماءات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ثالثا: أنه لا يشك عاقل منصف – منزَّه عن الهوى- بأنَّ القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الصحيح الثابت لقصة نبينا موسى - عليه السلام- وفرعون – عليه لعنة الله - لأنه وحي منزل من عند الله تعالى لا تشوبه شائبة بخلاف

المعرفة البشرية – التاريخية وغير التاريخية – التي عادة ما تكون عرضة لأن يعتريها النقص، والخلل، والانسياق وراء الأهواء.

رابعا: أنَّ المعرفة التاريخية المستقاة من المصادر المباشرة المتمثلة في الآثار الباقية تتطابق مع ما قصه القرآن الكريم من وقائع دارت بين نبينا موسى – عليه السلام – وفرعون عليه لعنة الله.

خامسا: أنَّه مع أهمية المعرفة التاريخية المستقاة من المصادر المباشرة المتمثلة في الآثار الباقية إلا أنها لا ترقى إلى اليقين إلا في حالات نادرة. فهي – في أغلبها - معرفة ظنية تحتمل الكذب. وذلك مقارنة بنصوص القرآن الكريم التي تمثل اليقين المطلق.

سادسا: أنَّ الفصل بين الدين والعلم لا يجوز شرعا لأن كل جانب من جوانب الحياة – بما فيها العلم - يجب أن ينضبط بضوابط الدين.

سابعا: أنَّ الفصل بين الدين والسياسة لا يجوز شرعا. فكل من يفصل أو ينادي بفصل الدين عن السياسة، فهو آثم إثما لن يخرجه أيضا عن كونه فاسقا أو ظالما أو كافرا كفرا أكبر مخرجا من الملة.

وبناءا على ما أسفرت عنه الدراسة الحالية من نتائج، يوصي البحث بضرورة تحذير الأفراد من مغبة الانخداع بهذه الدعوات المشبوهة التي يروج لها بعض مرضى القلوب والتي تطفو بين الحين والآخر للطعن في حجية القرآن الكريم.

الهوامش

1) سورة آل عمران، الآية: 102.
2) سورة النساء، الآية: 1.
3) سورة الأحزاب، الآية: 70.
4) **صحيح الترغيب، والترهيب، خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعلمها أصحابه**، الألباني، ط1، ص3.
5) انظر تفاصيل المقال وبيانات نشره بملحق الدراسة ص 22.
6) أحمد عبد المعطي حجازي، ريمة، وعاداتها القديمة، مقال منشور **بصحيفة الأهرام المصرية** بتاريخ الأربعاء 4 من صفر 1436هـ - 26 من نوفمبر 2014، السنة 139، العدد 46741.
7) أحمد عبد المعطي حجازي، ريمة، وعاداتها القديمة، مقال منشور **بصحيفة الأهرام المصرية** بتاريخ الأربعاء 4 من صفر 1436هـ - 26 من نوفمبر 2014، السنة 139، العدد 46741.
8) أحمد عبد المعطي حجازي، ريمة، وعاداتها القديمة، مقال منشور **بصحيفة الأهرام المصرية** بتاريخ الأربعاء 4 من صفر 1436هـ - 26 من نوفمبر 2014، السنة 139، العدد 46741.
9) أحمد عبد المعطي حجازي، ريمة، وعاداتها القديمة، مقال منشور **بصحيفة الأهرام المصرية** بتاريخ الأربعاء 4 من صفر 1436هـ - 26 من نوفمبر 2014، السنة 139، العدد 46741.
10) أحمد عبد المعطي حجازي، ريمة، وعاداتها القديمة، مقال منشور **بصحيفة الأهرام المصرية** بتاريخ الأربعاء 4 من صفر 1436هـ - 26 من نوفمبر 2014، السنة 139، العدد 46741.
11) سورة الأحزاب، الآية 56.
12) متفق عليه. أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث كعب بن عُجْرَة، واللفظ للبخاري. يراجع: البخاري، **صحيح البخاري**، ط1، ج4، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم (3370)، ص146، ومسلم، **صحيح مسلم**، د. ط.، ج1، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، الحديث رقم (406)، ص305.
13) النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط2، ج4، ص126.
14) النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط2، ج4، ص127.
15) سورة النجم، الآية 3.
16) سورة المؤمنون، الآية 71.
17) سورة النازعات، الآيتان 40-41.
18) سورة الجاثية، الآية 23.
19) سورة فصلت، الآيتان 41-42.
20) سورة المؤمنون، الآية 62.
21) سورة يونس، الآية 53.
22) سورة القصص، الآيات 1-5.
23) سورة القصص، من الآية 8.
24) سورة الزخرف، الآية 54.
25) سورة القصص، من الآية 40.
26) سورة غافر، الآيات 51-53.
27) سورة النساء، الآية 60.
28) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، ج2، ص302-305.
29) ابن القيم، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ط1، ج1، ص40.
30) سورة القصص، من الآية 38.

31) سورة القصص، الآية (4).
32) سورة غافر، الآية 28.
33) سورة الممتحنة، من الآية 4.
34) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج18، ص56.
35) سورة التوبة، من الآية 71.
36) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج8، ص203.
37) سورة الحجرات، من الآية 10.
38) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج16، ص322-323.
39) " (إنما) الجمهور على أنها للحصر". يراجع: السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ط1، ج1، ص 138.
40) أحمد عبد المعطي حجازي، ريمة، وعاداتها القديمة، مقال منشور **بصحيفة الأهرام المصرية** بتاريخ الأربعاء 4 من صفر 1436هـ - 26 من نوفمبر 2014، السنة 139، العدد 46741.
41) سورة القصص، من الآية 76.
42) سورة العنكبوت، الآية 39.
43) سورة المائدة، من الآية 13.
44) سورة المائدة، الآيتان 78-79.
45) سورة غافر، الآيات 37-40.
46) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج1، ص159.
47) سورة البقرة، الآيتان 1- 2.
48) سورة السجدة، الآيتان 1- 2.
49) سورة الزمر، الآيتان 27-28.
50) الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3، ج2، ص265.
51) سورة الأعراف، من الآية 179.
52) سورة الإسراء، الآية 103.
53) سورة القصص، الآية 40.
54) سورة يونس، الآية 92.
55) سورة الحِجْر، الآية 9.
56) سورة فصلت، الآيتان 41-42.
57) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج15، ص367.
58) سورة النحل، من الآية 89.
59) سورة الجاثية، الآية 18.
60) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج16، ص163.
61) سورة المائدة، من الآية 44.
62) سورة المائدة، من الآية 45.
63) سورة المائدة، من الآية 47.
64) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج6، ص190.
65) سورة الأنفال، من الآية 24.
66) سورة النور، الآية 51.
67) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج12، ص295.
68) سورة النور، الآيتان 47، 48.

69) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، ج6، ص68.

مراجع الدراسة

- الألباني، محمد ناصر الدين، المتوفي سنة (1420هـ). (1421هـ-2000م). **صحيح الترغيب، والترهيب، خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعلمها أصحابه**، ط1، الرياض: مكتبة المعارف.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المتوفي سنة (256هـ). (1422هـ). **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دمشق، دار طوق النجاة.
- الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، المتوفي سنة (606هـ). (1420هـ). **مفاتح الغيب**، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، المتوفي سنة (911هـ). (1408هـ-1988م). **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، المتوفي سنة (671هـ). (1384هـ-1964م). **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة، درا الكتب المصرية.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفي سنة (751هـ). **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ط1، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ-1991م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي، المتوفي سنة (774هـ). **البداية، والنهاية**، ط1، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر، 1424هـ-2003.
- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القُشيري النيسابوري، المتوفي سنة (261هـ). (د. ت.). **صحيح مسلم**، د. ط.، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف، المتوفي سنة (676هـ). (1422هـ - 2001م). **صحيح مسلم بشرح النووى**، ، تحقيق: عصام الضَّابطى، وحازم محمد، وعماد عامر، ط4، القاهرة، دار الحديث.

ملحق الدراسة

ريمة.. وعاداتها القديمة! [(2)]



أحمد عبد المعطي حجازي

.نحن نقع فى خطأ مدمر حين نخلط بين العلم والدين، فنبتعد عن الدين بقدر ما نبتعد عن العلم

نبتعد عن العلم لأن العلم مناهج عقلية وحقائق موضوعية وقوانين نصل إليها بالبحث والكشف والتحليل والتعليل والتجارب التى نزيد بها ما نعرفه ونصحح ما نقع فيه من أخطاء.

(2) أحمد عبد المعطي حجازي، ريمة، وعاداتها القديمة، مقال منشور **بصحيفة الأهرام المصرية** بتاريخ الأربعاء 4 من صفر 1436هـ - 26 من نوفمبر 2014، السنة 139، العدد 46741.

أما الدين فاعتقاد بالقلب وإيمان بالغيب وقيم أخلاقية نرعاها ونعمل بها. والذين يظنون أنهم سيفهمون نشأة الحياة من سفر التكوين أو سيحيطون بعلم الفلك من حديث القرآن عن الشمس والقمر يقعون فى خطأ فادح ويبتعدون عن العلم كما يبتعدون عن الدين.

وأنا أبدأ حديث اليوم بهذه المقدمة لأعود إلى حديث الأربعاء الماضى الذى أدرته حول مشكلة نعانيها ونتجنب الحديث فيها، وهى المشكلة المتمثلة فى الموقف الذى تقفه النصوص الدينية من تاريخنا حين تختزله فى قصة موسى وما كان بينه هو وبنى إسرائيل وبين فرعون والمصريين من صراع عنيف انحازت فيه هذه النصوص لموسى ضدنا. ولأننا نحن المصريين نؤمن بهذه النصوص فنحن نجد أنفسنا فى موقف لا نحسد عليه. لأننا بحكم انتمائنا الدينى مطالبون بأن نكون مع موسى ومع بنى إسرائيل، وبحكم انتمائنا الوطنى مطالبون بأن نكون مع فرعون. ولأن عواطفنا الدينية قوية بالوراثة. ولأن الأمية منتشرة فينا. ولأن ثقافتنا التاريخية وثقافتنا الوطنية عامة ضعيفة متهافتة فنحن فى هذا الصراع نقف ضد فرعون، أى ضد أنفسنا ونلتحق بالغزاة الذين تقاطروا على بلادنا ونزحوا خيراتها واستعبدونا باسم الدين من أول الفرس فى القرن السادس قبل الميلاد إلى الأتراك العثمانيين فى هذا العصر الحديث.

ولقد يبدو للسذج أن الدين يستفيد من الانحياز للإسرائيليين والطعن فى المصريين وتشويه تاريخهم. وهذا وهم، لأن الدين لم يعد المصدر الوحيد لمعرفة تاريخ المصريين، وإنما أصبح تاريخنا وتاريخ الإسرائيليين وغير الإسرائيليين معروفا يقرأه العالم ويتعلمه التلاميذ ويأخذه المؤرخون والباحثون من مصادره المباشرة المتمثلة فى هذه الآثار الباقية هنا وهناك فوق الأرض وتحتها. المعابد، والمقابر، والتماثيل والصور، والألواح المكتوبة التى تكشف لنا عن الماضى كأننا نعيش فيه كما نرى فى الجيزة والأقصر، وتل العمارنة، ودندرة. وكما نرى فى بقايا المدن القديمة فى العراق وسوريا وفلسطين. بابل، ونينوي، ولاخيش، وأورشليم وفيما كشف عنه من أوراق وألواح توفر العلماء على قراءتها ومقارنة ما جاء فيها بما جاء فى التوراة عن بداية الخليقة، وعن قصة الطوفان التى جاء ذكرها فى ملحمة جلجاش البابلية قبل أن يظهر اليهود وقبل أن تدون التوراة بألفى عام، وعن عقيدة التوحيد وغيرها من العقائد الدينية والقيم الأخلاقية الرفيعة التى سبق إليها المصريون وعبر عنها حكماؤهم أخناتون، وأمينموبي، وبتاح حتب، ونقلها عنهم العبرانيون فى سفر التكوين، وسفر الأمثال، وسفر الملوك، والمزامير التوراتية.

القصة الوحيدة التى لم ينقلها اليهود عن غيرهم هى قصة خروجهم من مصر عبر البحر الذى انفتح لهم وتركهم يعبرون سالمين ثم انطبق على فرعون والمصريين وأغرقهم عن آخرهم، ذلك لأن هذه القصة لا وجود لها فى أى مصدر من مصادر التاريخ القديم، لا عند المصريين، ولا عند البابليين، ولا عند اليونانيين. وهو أمر يدعو للتساؤل ويفرض علينا أن نميز بين التاريخ فى النص الدينى والتاريخ فى مظانه ومصادره.

التاريخ فى النص الدينى وسيلة تستخدم لضرب المثل واستخلاص العبرة لأن العاطفة الدينية أو القيمة الأخلاقية هى الغاية المقصودة فى النص الدينى الذى يأخذ من التاريخ ويضيف إليه ويفسره بما يخدم الغاية الأخلاقية وإن لم يتفق تماما مع الحقيقة العلمية التى نلتمسها فيما تركه لنا القدماء وما بحث عنه وأثبته المؤرخون، ومنهم الباحث الألمانى فلها وزن فى دراسته المعمقة التى تناول فيها تاريخ اليهود ونصوص التوراة وانتهى إلى أن اليهود «لم يتواجدوا فى مصر، ولم يقفوا على جبل سيناء، بل قدموا عبر الأردن وتوغلوا فى كنعان . أى فلسطين». ومن الباحثين الأوروبيين من رأى «أن كل روايات العهد القديم ليست سوى نسخ مختلفة ومتغيرة لأساطير الملحمة البابلية . ملحمة جلجاش . وأن كل أبطال التاريخ العبرى القديم لم يوجدوا ولم يخلقوا، بل هم نتاج الميثولوجيا وهم أبطالها بأساليب مختلفة». وباستطاعة القارئ العزيز أن يعود للمصدر الذى نقلت عنه هذه الاستشهادات وهو «تاريخ نقد العهد القديم» الذى حرره زالمان شازار، وترجمه إلى العربية أحمد محمد هويدي، وصدر عام 2000 فى المشروع القومى للترجمة. وباستطاعة القارئ العزيز أن يعود بعد ذلك أو قبل ذلك لما قدمه طه حسين فى هذه المسألة، مسألة التمييز بين العلم والدين، التى عالجها فى كتابه «فى الشعر الجاهلي.«

فى هذا الكتاب الذى صدر منذ ثمانية وثمانين عاما، وأثار ضجة واسعة ميز عميد الأدب العربى بين ما جاء فى النصوص الدينية عن العرب وعن أصلهم وعن لغتهم وشعرهم مما سلم به القدماء وبين ما أسفرت عنه المناهج والدراسات الحديثة التى تبناها طه حسين وطبقها على الشعر الجاهلى، فوجد أن هذا الشعر أو معظمه ليس فيه من حياة الجاهليين أو من لغتهم أو من ديانتهم شيء، وإذن فهو منحول لم يقله الجاهليون، وإنما صنعه الرواة بعد الإسلام ونسبوه للجاهليين ليثبتوا أن اللغة التى نظم بها هذا الشعر قديمة، وأنها كانت لغة العدنانيين ابناء إسماعيل الذى تعلمها هو وابناؤه من القحطانيين.

يقول الأستاذ العميد «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل. وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا. ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخي، فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها. ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى، وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذى أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويبثون فيه المستعمرات. فنحن نعلم أن حروبا عنيفة نشبت بين هؤلاء اليهود المستعمرين وبين العرب الذين كانوا يقيمون فى هذه البلاد وانتهت بشيء من المسالمة والملاينة ونوع من المحالفة والمهادنة، فليس يبعد أن يكون هذا الصلح الذى استقر بين المغيرين وأصحاب البلاد منشأ هذه القصة التى تجعل العرب واليهود ابناء أعمام، لاسيما وقد رأى أولئك وهؤلاء أن بين الفريقين شيئا من التشابه غير قليل، فأولئك وهؤلاء ساميون.«

هكذا علمنا الأستاذ العميد أن نميز بين الدين والعلم، كما علمنا غيره أن نميز بين السياسة والدين. لكن ريمة تنسى ما تتعلمه وترجع لعاداتها القديمة